قواعد الحوار والاقناع في القرآن الكريم 3

اعداد وتأليف
د. جمال محمد البنا

عنوان المحاضرة: - التفاهم وتقبل الاختلاف

التفاهم وتقبل الاختلاف هو من المبادئ الأساسية التي يشجع عليها الإسلام في التعامل بين الناس، سواء في الحوار أو في الحياة العامة.

الإسلام يعترف بأن الناس يختلفون في أفكارهم، وميولهم، وتوجهاتهم، ويرشد إلى كيفية التعامل مع هذه الاختلافات بشكل حضاري وبناء.

أولًا: - التنوع والاختلاف سنة كونية هو مفهوم يعبر عن أن الاختلاف بين البشر في الشكل، واللون، واللغة، والتفكير هو جزء من إرادة الله وحكمته في خلق الكون. الله سبحانه وتعالى جعل هذا التنوع موجودًا بشكل طبيعي بين البشر، وهو أمر مقصود لتسهيل التكامل بينهم وتشجيعهم على التعارف والتعاون.

١. الاختلاف في الخلق:

الله خلق البشر مختلفين في أجسامهم، أشكالهم، ألوانهم، ولغاتهم، كما في قوله تعالى:

{وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ} (الروم: ٢٢).

هذا الاختلاف الجسدي واللغوي ليس عيبًا أو نقصًا، بل هو جزء من جمال وتنوع البشرية الذي يدل على عظمة الخالق.

٢. التنوع يؤدي إلى التكامل:

بما أن الله خلق البشر مختلفين في مواهبهم وقدراتهم ، فإن هذا التنوع يساهم في تحقيق التكامل بين الأفراد والمجتمعات.

كل شخص يحمل مهارات وصفات مميزة تمكنه من المساهمة في مجتمعه بطريقة مختلفة.

ومن هنا تنشأ الحاجة إلى التعاون والعمل الجماعي لتحقيق النجاح والتطور.

٣. التعارف من خلال الاختلاف:

الاختلاف بين الناس ليس سببًا للصراع، بل هو فرصة للتعارف والتعاون.
يقول الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم:

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا} (الحجرات: ١٣).

هذه الآية تشير إلى أن الله جعل البشر مختلفين ليتعارفوا ويبنوا علاقات تفاهم واحترام.

لذا فإن التنوع والاختلاف سنة كونية هو تجسيد لإرادة الله في خلق البشر. هذا التنوع ليس فقط أمرًا طبيعيًا، بل هو فرصة للتكامل، التعارف، وتبادل الخبرات.

والإسلام يدعو إلى تقبل هذا التنوع والتعامل مع الاختلاف بالحكمة والاحترام، مما يؤدي إلى مجتمع أكثر تفاهمًا وسلامًا.

ثانيًا: ـ الاستماع واحترام الرأي الآخر من القيم الأساسية التي يدعو إليها الإسلام في الحوار والتواصل بين الناس.

هذه القيمة تساعد في خلق بيئة من الاحترام المتبادل، وتشجيع التفكير النقدي، وتخفيف حدة الصراعات الناتجة عن الاختلافات في الآراء.

١ـ أهمية الاستماع الجيد:

الاستماع ليس مجرد سماع الكلمات، بل هو فن يتطلب الانتباه والفهم. الله سبحانه وتعالى يمدح أولئك الذين يستمعون بعمق ويتفكرون في ما يُقال، ثم يتخذون قراراتهم بناءً على أفضل ما سمعوه. قال تعالى:

{الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ} (الزمر: ١٨).

الاستماع الجيد يُعزز من الفهم ويمنح الفرصة للتفكير في الرأي الآخر بشكل منصف.

٢ـ احترام الرأي الآخر:

احترام الرأي الآخر لا يعني بالضرورة الموافقة عليه، بل يعني الاعتراف بحق الشخص في التعبير عن رأيه، حتى وإن كان مختلفًا.

النبي ﷺ كان يستمع إلى آراء معارضيه ويناقشهم بلطف واحترام، دون إساءة أو تهكم.

هذا السلوك يعكس أهمية الاعتراف بوجود وجهات نظر مختلفة دون فرض رأي معين.

٣. التعامل مع الاختلاف بحكمة:

عندما يكون هناك اختلاف في الآراء، فإن الإسلام يشجع على الحوار الهادئ والحكيم. يقول الله تعالى:

{وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} (النحل: ١٢٥).

هذا يعني أن حتى في حالة الجدال أو النقاش الحاد، يجب أن يكون التعامل برقي وأسلوب حسن، دون اللجوء إلى التهجم أو التقليل من شأن الرأي الآخر.

٤. الاعتراف بأن الحق قد يكون مع الطرف الآخر:

الإسلام يحث على البحث عن الحقيقة والاستماع للرأي الآخر بعقل منفتح. أحيانًا قد يكون الحق مع الشخص الذي نختلف معه، ولذا يجب أن نكون مستعدين لتقبل الحق مهما كان مصدره.

قال أبو هريرة -ﷺ- مرفوعاً عن رسول الله -ﷺ- وهو قوله: (الكلِمةُ الحِكمةُ ضالَّةُ المؤمِنِ فحيثُ وجدَها فَهوَ أحقُّ بِها)، والحديث أخرجه الترمذي وابن ماجة في سننهما عن أبي هريرة -ﷺ-وقال الترمذي في حكمه عليه: "حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإبراهيم بن الفضل المَدني المخزومي يُضعّف في الحديث من قِبلِ حفظه". وإن لم يثبت هذا الحديث مرفوعاً إلى رسول الله -ﷺ-، إلَّا أنّه صحيح المعنى والمضمون؛ فالمؤمن يجب أن يكون من طبعه الحرص على طلب الحق حيثما كان، وأن يقبل بالرأي الصائب من أيٍ شخصٍ كان، والمؤمن يأخذ كلمة الحق من غير الاعتراض على مصدرها أو قائلها.

٥. النبي ﷺ كنموذج في الاستماع:

النبي ﷺ كان مثالًا رائعًا في احترام الآراء المختلفة.

عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: إن فتى شابًّا أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا! فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا: مه مه! فقال: ((ادنه))، فدنا منه قريبًا، قال: فجلس، قال: ((أتحبه لأمك؟))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأمهاتهم))، قال: ((أفتحبه لابنتك؟))، قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لبناتهم))، قال: ((أفتحبه لأختك))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأخواتهم))، قال: ((أفتحبه لعمتك؟))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لعمَّاتهم))، قال: ((أفتحبه لخالتك))، قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لخالاتهم))، قال: فوضع يده عليه، وقال: ((اللهم

اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصِّن فَرْجَه))، فلم يكن بعد - ذلك الفتى - يلتفت إلى شيء؛ رواه أحمد بإسناد صحيح .

٦. الاستماع يجلب التفاهم:

الاستماع الجيد يسهم في إزالة الحواجز النفسية ويعزز من فرص التفاهم بين الأطراف المختلفة. عندما يشعر الشخص أن رأيه مسموع ومحترم، فإنه يكون أكثر استعدادًا للاستماع للطرف الآخر وربما حتى لتغيير موقفه.

الاستماع واحترام الرأي الآخر يعكسان الروح الحقيقية للإسلام في الحوار. الاستماع الجيد والاحترام المتبادل يفتحان الأبواب للتفاهم والتواصل الفعّال، حتى في ظل وجود اختلافات.

التعامل بلطف واحترام يجعل النقاشات بنّاءة، ويمنعها من التحول إلى صراعات شخصية أو أحقاد.

ثالثًا: - التأكيد على المشتركات في الدعوة للتعايش السلمي في ضوء عقيدة أهل السنة والجماعة والسلف الصالح: -

التأكيد على المشتركات في الحوار والإقناع هو مبدأ أصيل في منهج أهل السنة والجماعة وفكر السلف الصالح، حيث يُعتبر هذا المبدأ وسيلة فعالة لتحقيق التفاهم والتقارب بين المختلفين في الرأي أو العقيدة. هذا النهج يعزز من فرص النجاح في إيصال الحق، ويقلل من حدة الصراعات أو التوترات التي قد تنشأ نتيجة الاختلافات. إليك بعض النقاط الرئيسية حول هذا المبدأ:

١- التركيز على الأصول المشتركة: يعتمد السلف الصالح على التركيز على الأمور التي يجتمع حولها الجميع قبل التطرق إلى نقاط الخلاف.

مثلاً، الدعوة إلى الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وهي نقاط يتفق عليها معظم أهل الديانات السماوية. يقول الله تعالى:

"قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ" (آل عمران: ٦٤).

هذا التوجيه القرآني يُظهر كيف يجب أن يكون الحوار بناءً على نقاط الاتفاق الكبرى، مما يمهد الطريق لحوار أكثر انسجامًا.

٢-الاحتكام إلى القرآن والسنة: عند الحديث أو النقاش بين المسلمين أو مع غيرهم، كان منهج السلف دائمًا هو الاحتكام إلى القرآن والسنة كمصادر أساسية للحجة.

فكلما كان الحوار قائمًا على النصوص الواضحة والمتفق عليها، كانت فرص الوصول إلى نتيجة إيجابية أكبر. يقول الله تعالى:

"فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ" (النساء: ٥٩)، مما يعزز أهمية الاحتكام إلى الوحي في حالة الاختلاف.

٣- اللين والرفق في الحوار: منهج السلف يدعو إلى استخدام اللين والرفق في الحديث، حتى مع المخالفين. فالتعامل بلطف واحترام يعزز من فرص قبول الطرف الآخر للحجة. يقول النبي ﷺ:

"ما كان الرفق في شيء إلا زانه، وما نُزع من شيء إلا شانه" (رواه مسلم).

وبالتالي، الحوار الهادئ المبني على الاحترام يزيد من فرص الوصول إلى القلوب والعقول.

٤- حسن الظن والنية الصافية: السلف الصالح كانوا يؤكدون على ضرورة أن تكون النية في الحوار خالصة لله، فالهدف هو إيصال الحق، وليس الانتصار للذات أو إحراج الآخر. عندما تكون النية صافية، يُفتح المجال لتقبل الرأي الآخر وللتفاعل الإيجابي. الإخلاص في النية يجعل الحوار بناءً ومثمرًا.

٥- الصبر والتسامح مع الاختلاف: كان السلف الصالح يتمتعون بالصبر في مواجهة الاختلافات، حيث أن الهدف من الحوار هو الوصول إلى الحق وليس مجرد الجدال لأجل الجدال. يقول الله تعالى:

"وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ" (النحل: ١٢٥)، وهذا يشير إلى أهمية استخدام أفضل الأساليب وأرقاها في النقاش، حتى مع من يختلف معنا في الرأي.

ولذا التأكيد على المشتركات في الحوار وفق منهج أهل السنة والجماعة والسلف الصالح هو استراتيجية حكيمة تهدف إلى بناء جسور التواصل وتسهيل الوصول إلى الحقائق المشتركة.

بالاعتماد على الاحترام، والحجة الواضحة، والنصوص الشرعية، والنية الصافية، يكون الحوار أكثر فعالية ويحقق الأهداف المرجوة بدون تعصب أو تصادم.

رابعًا: الرحمة والشفقة في الحوار والاقناع حتى مع الأعداء:-

الرحمة والشفقة في الحوار والإقناع، حتى مع الأعداء، من القيم التي يحرص عليها القرآن الكريم والسنة النبوية، حيث يوجهان المسلمين إلى استخدام أساليب الإقناع القائمة على الرفق واللين بدلاً من القسوة والتعصب، حتى عند مخاطبة

الأعداء أو المختلفين في الدين والعقيدة. هذا يعكس الرؤية الإسلامية للحوار الذي ينبغي أن يكون مؤسسًا على الرحمة والتفاهم، مع الحرص على كسب القلوب بدلاً من التسبب في التنافر.

١. اللين في الحوار مع الأعداء:

القرآن الكريم يؤكد على أهمية الرفق في التعامل مع الآخرين حتى الأعداء، ويظهر ذلك في قصة سيدنا موسى وهارون عليهما السلام عندما أرسلهما الله إلى فرعون، الذي كان من أشد أعداء الله ورسله ،رغم جبروته وكفره، أمرهما الله بالتحدث معه بلين ورحمة. قال الله تعالى:

"فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ" (طه: ٤٤)

هذه الآية توضح أن اللين والرفق في الحوار يمكن أن يكون لهما أثر إيجابي حتى على من يعاند ويقاوم الحق.

استخدام القول اللين قد يدفع الأعداء إلى التفكير والتأمل، وربما التغيير.

٢. الرحمة والتسامح حتى مع المسيئين:

الإسلام يحث على التسامح والرحمة في الحوار، حتى مع من يسئ إلينا. قال الله تعالى:

"وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا" (الفرقان: ٦٣)

المؤمنون يتصفون بالحلم والرحمة، حتى إذا واجهوا إساءة أو كلامًا قاسيًا، فإنهم يردون بسلام، مما يُظهر قوة الإقناع بالرحمة والتسامح، بدلاً من التصعيد والمواجهة.

٣. التحلي بالصبر والحكمة:

في الحوار والإقناع، لا بد من الصبر والرحمة تجاه من يعارضنا. قال الله تعالى:

"فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ" (الروم: ٦٠)

الصبر هنا يعني التحلي بالحكمة وعدم الرد بالعنف أو التوتر عند مواجهة الأعداء أو المخالفين. هذه الرحمة في التعامل تجعل الحوار أكثر تأثيرًا وأقرب للوصول إلى القلوب.

٥. الرفق سبيل الإقناع الفعّال:

النبي ﷺ كان خير مثال في التعامل برحمة ورفق مع المخالفين والمعادين.
فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

"إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ"
(رواه مسلم)

الرفق في الحوار والإقناع يجعل الكلمات مقبولة، ويدفع الآخرين إلى الاستماع باهتمام، بينما القسوة تنفر الناس وتبعدهم.

خامسًا:- دعوة النبي ﷺ إلى التفاهم والرحمة.

دعوة النبي ﷺ إلى التفاهم والرحمة كانت من أبرز الصفات التي تميز بها في دعوته للإسلام. فقد كان عليه الصلاة والسلام نموذجًا يُحتذى به في اللطف والرحمة حتى مع أعدائه، وكان دائمًا يسعى إلى تحقيق التفاهم وإيصال رسالته بالحكمة والموعظة الحسنة.

الله تعالى وصف النبي ﷺ في القرآن بقوله: "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين" (الأنبياء: ١٠٧). هذه الآية تجسد طبيعة دعوة النبي؛ فرسالته كانت قائمة على الرحمة للجميع، مسلمين وغير مسلمين، أصدقاء وأعداء.

❓ كيف كان النبي يتعامل مع من يعاديه؟

لنأخذ مثالًا من يوم فتح مكة، عندما دخل النبي ﷺ مكة منتصرًا، وكان أهلها قد عذبوه وأخرجوه منها. كيف تعامل معهم؟ لم ينتقم، بل قال: "اذهبوا فأنتم الطلقاء". هذه الرحمة في لحظة القوة أدهشت الجميع وأظهرت مدى عظمة النبي في التسامح والعفو.

وكذلك كان النبي ﷺ في دعوته، يُحاور الكفار والمشركين بالحكمة، ويستمع إلى آرائهم، ويقابل الإساءة بالإحسان. وكان دائمًا يدعو إلى التفاهم والسلام، ويحث على اللطف حتى في أوقات الخلاف.

في كل ذلك، نرى أن رسالة النبي ﷺ كانت رسالة حب ورحمة، هدفها تحقيق السلم والتفاهم بين البشر، وهذا ما جعل دعوته تنتشر وتلقى قبولًا واسعًا.